مستقبل العلوم الإنسانية

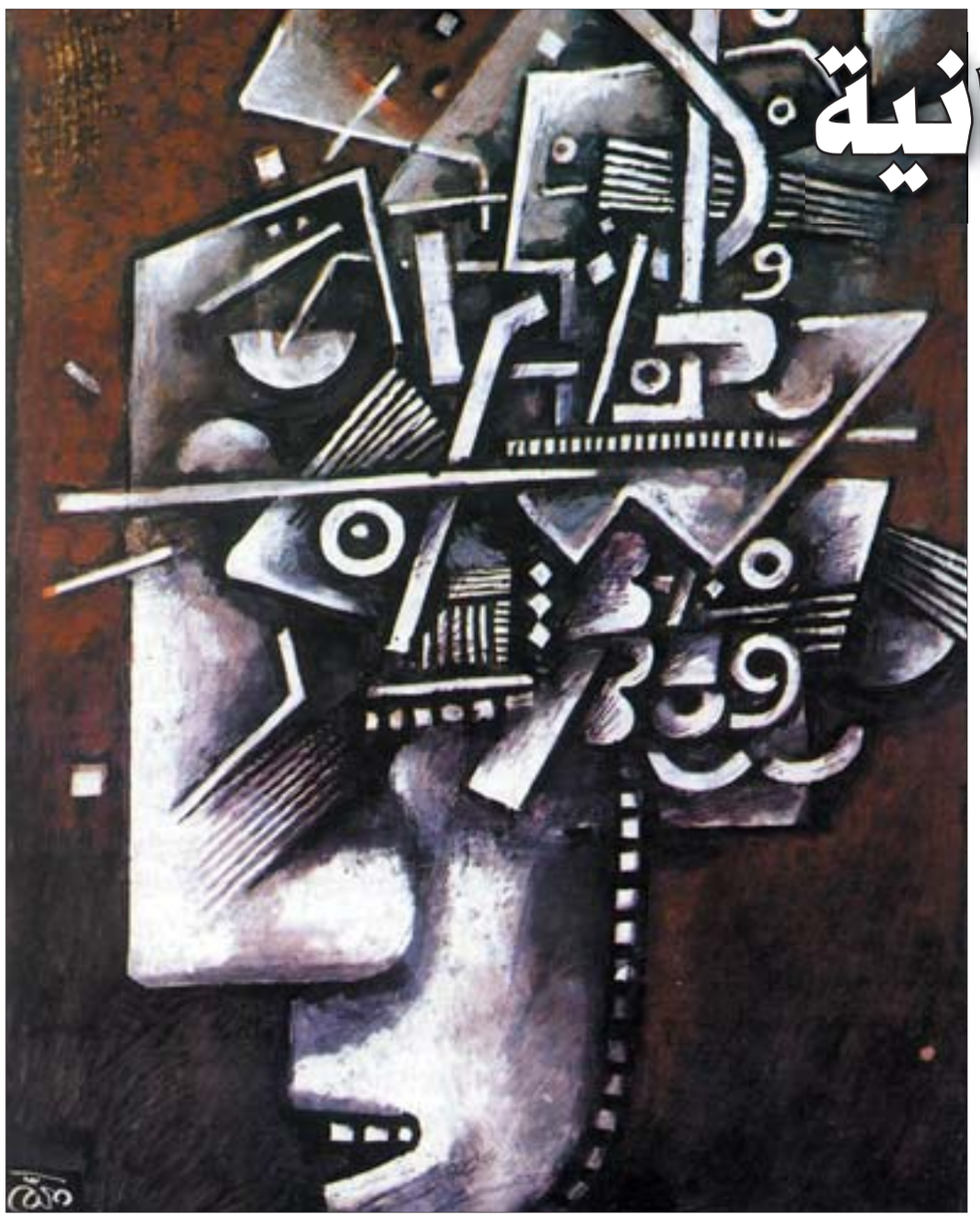

● عند الحديث عن «التواصل» أو «مجتمع المعلومات» أو «اقتصاد المعرفة» يذهب التفكير غالبا نحو الاعتقاد أن المعرفة يمكن اختزالها على جملة من المعطيات الجزئية والمعزولة والقابلة للطرح في الأسواق كأية سلعة أخرى.
أمام مثل هذه الرؤية «الاختزالية» يقدّم أستاذ الأدب في جامعة غرونوبل «ايف سيتون» الفرنسية.. كتابا تحت عنوان «مستقبل العلوم الإنسانية».
ويؤكد المؤلف بداية أن العلوم الإنسانية تمتلك كفاءة عالية تتمثل في قدرتها على «التعليل والتأويل» وبالتالي على التجديد. ويعرّف هذه الكفاءة أنها السبيل نحو تخطي «القراءة الآلية» التي يفرضها مجتمع المعلومات والمعلوماتية ومنطق السوق الذي يشغل ساحة النشاط الاقتصادي كله، بما في ذلك اقتصاد المعرفة. وتخطي القراءة الآلية ذات البعد الاقتصادي والنفعي بالدرجة الأولى والأساسية يمثّل نشاطا يتطلب قدرا كبيرا من الثقافة.
تتوزع مواد هذا الكتاب بين سبعة فصول يمثل الستة الأولى تساؤلات تبحث عن إجابات، وتخص: «كيف يمكن التفكير وإعادة التفكير بمعارفنا»؟ و«كيف نتعامل مع قضية البحث عن الفهم»؟ و«كيف نلج طريق المستقبل»؟ و«ما هي الشروط المطلوب توفرها للقيام بمثل هذا الفهم »؟ و«كيف يتم تكوين من يقومون بمهمّة الشرح والتفسير»؟ و«كيف نجعل المستقبل ذا نزعة إنسانية»؟ والفصل الأخير يحمل عنوان «سياسات العلوم الإنسانية».
يشرع المؤلف بداية في توصيف الوضع الإنساني القائم في وضعه الراهن أنه وليد رؤية للعالم تقول أننا نعيش في «مجتمع المعلومات» أو في ظل «اقتصادات المعرفة». مثل هذه الرؤية وهذا التأكيد يجدان ما يدعمهما في الانتشار الكبير لشبكة الانترنت وخاصة الدور الذي يلعبه «محرّك غوغل» للبحث أو موسوعة «يوكيبيديا».
لكن هذا الواقع يترافق مع نوع من «التفاؤل» مصدره أن الانتشار الكبير للمعلومات هو «أمر جيّد بحد ذاته». هنا يفتح المؤلف قوسين كي يسأل: لكن هل تعبير «اقتصاد المعرفة» دقيق؟ وضمن مثل هذا النسق من الأسئلة يطرح المؤلف مسألة العلاقة بين «العقلانية الاقتصادية» وبين «عالم المعرفة» شبه الروحاني؟ ما يؤكده المؤلف هو أن الحالة القائمة تثير الكثير من التساؤلات.
الخطوة الأولى في معرض محاولة الإجابة عن مختلف التساؤلات المطروحة يجدها المؤلف في ضرورة «توضيح جميع المفاهيم». وهو يؤكد على وجود «فرق نوعي»، «فرق في الطبيعة» بين مجرد قراءة نص وبين أن يجعل المرء منه «نقطة انطلاق لتفكير حي ومبدع».
في الحالة الأولى، «مجرّد القراءة» السطحية يتم الاكتفاء بأخذ القوالب الموجودة قبل أي تحليل وتطبيقها على معلومات أو أوضاع جديدة، أما في الحالة الثانية فإنه يتم وضع القوالب الموجودة نفسها أمام امتحان مدى صلاحيتها بحثا عن «الجديد» في النص المعني. الفرق بين الطريقتين هو الذي يميّز بين النشاطات الحسية–الحركية «المباشرة» وبين النشاطات الإبداعية.
ويشرح المؤلف أن الحديث عن فكرة «مجتمع المعلومات» وقصرها على المفهوم الفقير لـ«المعلومة» إنما يعني اعتبار أن هذه الفكرة مجرّد مسألة «آلات» وبالتالي عدم فهم ما يسميه المؤلف بـ«تفرّد» حقبتنا». هذا التفرد، يحدده بالقول أن الاقتصاد يقوم بدرجة أقل فأقل على أسس مادية وأكثر فأكثر على «حساسيات غير مادية للرغبة».
ويرى المؤلف أن الاستفادة من هذا المنعطف الكبير حول «ما هو غير مادي» تكمن في مدى القدرة على التأويل والذي كان أصلا وراء إرساء أسس المجتمعات المعاصرة «مجتمعات المعلومات» بمقدار ما هي «مجتمعات المعرفة».
في القسم الثاني من الكتاب يؤكد المؤلف على أهمية مسيرات التطور الجماعية المرتبطة بحالة المجتمع ككل. ذلك على أساس أن التجديد، كما أثبتت شبكة الانترنت، لا يولد سوى عبر تعاضد عمل الأفراد. ويؤكد ايف سيتون القول بضرورة الابتعاد عن معايير الإنتاج الراهنة القائمة على السرعة والمنافسة، بل وتشجيع التراجع والإبطاء في حركة التقدم كشرط لا بد منه من أجل «البحث الخلاق».
وتتم المطالبة في هذا السياق بضرورة دمج «الثقافات الفرعية»، و«الثقافات الثانوية» في مجتمعاتها للاستفادة من قدراتها الخلاقة وبما يمكن أن تقدمه من مساهمة في سبيل التجديد. ويطالب المؤلف بإعادة الاعتبار لما تتم تسميته في المجتمعات الغربية تقليديا بـ«العلوم الإنسانية». والمقصود تلك الثقافة العامة والتاريخ وعلم الاجتماع والأدب والفلسفة، الخ.
الوجه الآخر للمطالبة بإعادة الاعتبار لمختلف العلوم الإنسانية هو إحداث نوع من «القطيعة» مع «المبدأ» الصناعي، القائم على المردودية الإنتاجية والنزعة المادية المتطرفة، التي لا تزال هي «المحرك» الرئيسي لمختلف الأحزاب والإيديولوجيات السياسية السائدة على صعيدي اليمين واليسار في البلدان الأوروبية.
إن المؤلف يرسم في هذا الكتاب نوعا من «خارطة الطريق» للمجتمعات الغربية المعاصرة التي «لم تعد تجدد ما فيه الكفاية والتي فقدت ما كان يشكل قديما مصدر قوتها وديناميتها في التجديد». ولم يتردد مؤلف هذا الكتاب في القول أن «مستقبل الإنسانية متعلّق بمستقبل العلوم الإنسانية».
و«علوم بلا وعي تعني نضوب منبع السمة الحية للمجتمعات الغربية التي مشت الخطوة الأولى نحو الانحطاط». كما تمكن صياغة رسالة هذا الكتاب.

صنعاء.. مكسورة الخاطر

أحمد أبو زينة

● في زمن ليس ببعيد كنت يا صنعاء مدينة هادئة وجميلة تأسرين كل زائر ،كنت تتمتعين بجو يسوده الهدوء والراحة معاً، فأصبحت رفيقة أصوات الرصاص وهدير المولدات الكهربائية ، وأصبحت مفزعة لعشاقك مخنقة لهم برائحة البارود والدخان معاً، كنت مأوى للفقير ومحط رحال السائح الغريب ، كنت عنوان حديث أجدادنا تحت ظلال أشجارك ونسيم هوائك العليل ...
أصبحت عنوان حديث المتآمرين عليك تحت ظلال الطرابيل والخيام ، كنت وجه الهدوء والراحة النفسية، كنت قبلة لأبناء الريف الطامحين ، فأصبحت إشارة بنان لتحذير الغريب عنك ، وأصبحت مهرباً لأبناء الريف (الضابحين)، كنت سوقاً مربحاً لأبناء أرضك لعرض منتجاتهم الفخارية اليدوية ،كنت توزعين إلى العواصم الأخرى غرس المودة والتراحم والوفاء ، كنت وجهة للغريب الباحث عن الاستقرار وطلباً للعلم والعمل ، فأصبحت وجهة للأشباح تبحثين عن اندثار بقايا جسمك النحيل ،كنت تخدعين الحضارات الحديثة بندرة مبانيك ودقة صنعة نوافذ مبانيك ، كنت شامخة بوجود جبل نقم من الشرق ومن الغرب عيبان، فأصبحت تغمسين رأسك بين الرمل مكسورة الخاطر ، كنت لا تعرفين للطين اسماً آخر ، كنت غريبة عن الأحجار و«البلك»، كنت لا تعرفين هل للرمل أنواع وهل للحجر أشكال ، فأصبحت للاسمنت اسماً لطينك الجديد ، أصبحت ملازمة للبلك والحجار ، أصبحت تعرفين «الكري» و«البطحاء» و«الهلسن»، كنت تنعمين بالبترول والديزل، كنت ملازمة الضوء ومخاصمة للون الأسود والظلام أيضا، فأصبحت ملازمة للظلام مخاصمة للضوء أيضا ، كنت مسجلة في منظمة اليونسكو تراثا حضاريا إنسانياً، فأصبحت مسجلة في القائمة السوداء لتنظيم القاعدة الإرهابي ، كنت لا تعرفين المولدات الكهربائية الغريبة عليك ، كنت مغناة للفنانين وعنوان قصائد الشعراء ، فأصبحت يقولون : ألا ليت الزمان يعود يوما، فأخبره بماذا فعلوه فيك ، كنت للصيام في حضرتك خطة مرسومة مسبقاً، كنا نصوم ونفطر عند سماع مدفع الشهير ، فأصبحت بوجود أصوات الرصاص والمدافع نفطر كل نصف ساعة ، كنت لا تعرفين مجيء الشمع مع الحزن الكئيب ،فا صبحت للشمع صديقة في الحزن والمآسي على غير عادتك وعلى غير ما عرفك أجدادنا قديماً ، كنت لا تعلو رائحة فوق رائحة البخور والصندل، فأصبحت لا تعلو رائحة تعلو فوق رائحة البول والقاذورات ، كنت يقول فيك الشافعي: لابد من صنعاء وان طال السفر ، فأصبحت يقول فيك المثل الشعبي أجهل مصدره «الهروب من صنعاء غداً « ، كان يقولون فيك: صنعاء حوت كل فن لأن ربي سقاها فيض الغمامة وكل معنى حسن ....، كنت عنوان رواية الراوي الراحل محمد عبد الولي بعنوان « صنعاء عاصمة مفتوحة « ، فأصبحت محاصرة مخنوقة ،كنت يقول فيك ابنك الشاعر الكبير المقالح:

صنعاء عاصمة الروح
أبوابها سبعة والفراديس أبوابها سبعة
كل باب يحقق أمنية للغريب
من أي باب دخلت السلام عليك
السلام على بلدة طيبة ماؤها طيب.

كنت ثنائية الكلاسيكي والحديث ، كنت غريبة على أدخنة الإطارات ومخلفات القمامة ،كنت لا تعرفين انتشار اللون الأحمر على أراضيك ، كان ليوم جمعتك اسم واحد هي جمعة مباركة ، وأصبحت جمعتك بأسماء غريبة لا تعرفين معناها فهي على علاقة بأفانين السياسة وأحابيلها ، كنت لا تعرفين هجر المنازل من أبنائك قبل ظهور موضة الخيام ، كنت تعانين من فراغ سكاني في المشافي، كنت تعانين من ازدحام سكاني بسبب مميزات أنت كسبيها، كنت وكنت و كنت وآه كيف كنت ، لقد أصبت بالملل من تذكار الماضي على عكس من قال «إن تذكار الماضي يصنع الحماس» هذا مالا طاقة لك به يا صنعاء وإني أعلم علم القين أنك برئية بريئة الذئب من دم يوسف عليه السلام مما يحدث فيك من أبناء جلدك لقد أساءوا إليك حقا ، فقد خدشوا وجهك الجميل ، وأحرقوا ثيابك الأنيق ، وقصوا شعرك الطويل ، وكسروا زجاجة عينك الكحيلة ، ونتفوا رمش عينك الكثيف ، ونزعوا مغطاة رأسك التي تستظلين تحتها منذ سنين ، واتهموك بالخيانة مثل عائشة في عهد النبي ، ولطخوا أسنانك باللون الغريب ، واغتالوا أبناءك ورقصوا على الجثث بلا حسيب ولا رقيب ، وأسروا أخواتك وشردوا الطفل الصغير ..... كل هذا حتى يجعلوك قبيحة في مخيلتهم ،ويريدون اغتيالك بعد أختك بغداد ، لقد كنت في غنى عن هذه الوجوه القبيحة فعلاً ، لربما كان وجودهم عليك عبثا استغفر الله
لقد كتبت ما سبق من حروف مترابطة وكلمات متتابعة وأسطر متسلسلة وفكرة واحدة بقلم الرصاص مبدئيا لكني فعلا كرهت القلم ورميته جانبا لأنه مرتبط بكلمة «الرصاص» من كان السبب في إزعاجك يا عاصمة الروح سابقا وحاليا وفي المستقبل إن شاء الله وأقولها» شاء من يشاء وأبى من أبى «.

أنَّى للقصيدة أن تمرَّ من هنا !

عبدالله كمال محيي الدين

المساءُ المُتَكَوِّمُ على نفسه ..
لمْ يعدْ يحتملُ نعيبكَ أيها البومُ من على المئذنةْ.
الأشجارُ التي أوشكتْ على الوقوفِ
في طوابيرِ المهاجرينَ،
وأمامَ شبابيكِ الجوازاتِ،
وعلى أبوابِ وكالاتِ تفويجِ الحُجَّاجِ
،
لمْ تعد تحتملُ الأزماتِ المتتابعة ..
المحروقاتْ .. الكهرباءْ .. المياهْ ..
الإنسانيةْ .. الصدقْ .. ا
لرحمةْ .. الحبّ ..... إلخ.
الطرقاتُ التي ضاقتْ ذرعاً بالنقاطِ
المسلحةِ ..
عساكرْ .. قبائلْ .. لصوصْ .....
كادتْ تنسى وظيفتها الأصليةَ،
وترفعُ لافتةَ (مغلقٌ بسببِ أعمالِ
الفوضى) .
إناراتُ الشوارع، تقفُ بِحَيْرَةٍ
بعدَ أنْ اقتنعتْ
بعدم قدرتها على مقارعةِ جحافلِ
الظلاَم ..
أنَّىْ لوردةٍ أنْ تنبت هُنا ..
أنَّىْ للقصيدةِ أنْ تمرَّ من هُنَا
×××××
أيها الغريبُ كوردة في ساحة
المعركة ..
كم هي اللحظات التي تمر بك حافلة
بالرعب،
كلحظات مسيري الليلة
في الشارع الغارق في الظلام،
ليس من حولي إلا الموت ،
يُطِلُ من فوهات البنادق المشرعة من
خلف المتاريس ..
شارع استعمره الموت،
بيوت سكنتها الأشباح ..
ومدينة يلفها الحزن .
أنَّى لوردة أن تنبت هنا ؟!..
أنَّى للقصيدة أن تمر من هنا ؟!

إصدارات ثقافية

كاتبان أميركيان: فان غوخ لم ينتحر.. بل قتل

■ نيويورك- شكك كاتبان أميركيان بصحة الرواية الشهيرة حول انتحار الرسام الهولندي فينسينت فان غوخ ورجحا في كتاب جديد أن يكون قتل على يد مراهق، هو أخ أحد أصدقائه.

وذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» أن الكتاب «فان غوخ: الحياة» من تأليف الكاتبين الفائزين بجائزة «بوليتزر» ستيفن نايفيه وغريغوري وايت سميث يقدمان أدلة تشكك في الرواية القديمة حول إطلاق فان غوخ النار على نفسه في حقل بفرنسا في تموز/يوليو عام ١٨٩٠ ووفاته متأثراً بجروحه بعدها بيومين، بسبب معاناته من الاكتئاب بعد أن كانت قد دفعته تلك الحالة إلى قطع أذنه في السابق.
ويقول مؤلفا الكتاب إنه «لم تقدم قط أي أدلة حسية حول إطلاق النار، ولم يتم العثور على مسدس»، كما أن فان غوخ «الذي لم يكن يدر شيئاً عن المسدسات» لم يترك رسالة انتحار والرصاصة دخلت المنطقة العليا من بطنه من زاوية منحنية وليست مستقيمة مثل العادة في حالات الانتحار.
ويرجح الكاتبان أن يكون فان غوخ قتل على يد شقيق أحد أصدقائه وهو مراهق يبلغ من العمر ١٦ سنة كانت تربطه علاقة غريبة بالرسام وكان يستفزه ويثير غضبه على الدوام.
يقول المؤلفان إن فان غوخ لم يتهم قطّ المراهق لأنه كان يتقبل موته ولم يرغب في أن يدفع أحد ثمنه. بي

«جبل الدهشة»

■ القاهرة - تدور أحداث رواية «جبل الدهشة» في أجواء أفريقية. وهي تتكون من ثلاثة أجزاء تقع في مجلد واحد يحتوي على ٢٥٢ صفحة.
الجزء الأول عنوانه «أناقة أفريقية» وتبدأ فيه أحداث الرواية في قلب غابات السافانا الأفريقية حيث تنتشر سياحة السفاري في كينيا. وفي أحد فنادق العاصمة نيروبي يصل من لندن فوج سياحي خليجي يضم شبابا يدرسون في إحدى الكليات الاقتصادية المرموقة في عاصمة الضباب اختاروا أن تكون وجهتهم لقاء أجازتهم السنوية، للمرة الأولى، دولة أفريقية ليجربوا سياحة السافاري. وهناك يخوضون تجربة إنسانية ثرية.
في البداية يحدث سوء تفاهم مع المرشد السياحي الكيني بسبب سيدة أميركية (ماري ماك آرثر) يكتشفون فيما بعد أنها عالمة متخصصة في «علم نفس الحيوان»، ومن خلال أحداث الرواية يُعرّف المؤلف بهذا العلم الجديد نسبيا.
وبدافع الفضول تدور مناقشات بين الشباب الخليجي والمرشد الكيني الذي تربطه بالعالمة الأميركية علاقة تمتد لسنوات فيكشف لهم عن أنها متعلقة بشيء أقرب إلى الأسطورة هو البحث عن زميل لها (جون بيري تومسون) فُقد منذ سنوات في الغابات وهو يتتبع بعض الحيوانات في إطار عمله البحثي، وبالتدريج يكتشفون أنها في الحقيقة متعلقة برسالة لا بأسطورة، إذ تحمل إيمانا عميقا برسالة زميلها القتيل وهي نشر فكرة «قبول الآخر».
ومن خلال رحلة إلى محمية ماساي مارا الشهيرة يقدم ممدوح الشيخ عرضا وافيا للحياة الاجتماعية للقبائل الأفريقية التي تعيش في محيط المحمية.
الجزء الثاني من الرواية عنوانه «عندما تبكي الأفيال» وفيه يلخص الشاب القطري المفارقة الرئيسة في الرواية بقوله: «سبحان الله.. كأنني ذهبت من قطر إلى بريطانيا لأدرس الاقتصاد، لتُرسلني كلية لندن في رحلة سافاري إلى نيروبي، لألتقي هناك عالمة أميركية متخصصة في «علم نفس الحيوان!».
ومن خلال مناقشات حول علم نفس الحيوان يقدم المؤلف قدرا من المعلومات العلمية الموظفة سرديا عن ظاهرة الأحلام عند الحيوانات. ومن خلال هذه المناقشات يكتشف الشاب القطري «حمد» أن أحد الذين أثروا بقوة في العالم المختفي شخص كيني مسلم هو الدكتور آدم مرسال إمام المسجد الكبير بنيروبي فيذهب للقائه.

وفي الحوار مع الدكتور آدم مرسال يقول إمام المسجد الكبير: «جون بيري طومسون واحد من مؤسسي علم نفس الحيوان.. ودخل مكتبي لأول مرة لرغبته في لقاء بعض الرواد الهاربين من الإبادة الجماعية. وكان يريد جمع شهادات عن هذا العنف الرهيب ليقارن بين السلوك العدواني عند الإنسان وعند الكائنات الأخرى.. لكن الحديث امتد لجلسات وتشعّب إلى أن أصبح الرجل على قناعة بأن الدين له دور كبير في مقاومة الغرور والكبر القومي والعرقي عند الجماعات المختلفة. وأدرك الأثر العظيم لمفهوم الرحمة في الإسلام في علاقات البشر ببعضهم، وعلاقتهم بالكائنات الأخرى.. وعلى عكس كثير من المثقفين الغربيين أصبح على قناعة بأن الإسلام رسالة رحمة».
ثم يستعيد الدكتور جابر مرسال جانبا من مناقشاته مع جون بيري تومسون وكيف أنه وهب حياته لموضوع قبول الآخر بعد أن قتلت زوجته – وهي عالمة أميركية من أصل كرواتي – في الحرب الأهلية التي نشبت في البلقان خلال التسعينيات، ثم كيف لفت نظره ما تنشره الصحف عن الانتشار السريع للإسلام في رواندا بعد أن أحجم المسلمون – بدافع ديني – عن الاشتراك في جرائم الإبادة الجماعية الرهيبة التي شهدتها رواندا عام ١٩٩٤، وكيف أن الروانديين رأوا بأنفسهم دليلا عمليا على أن الإسلام دين رحمة.
الجزء الثالث من الرواية عنوانه «بدون مقدّمات!» وفيه يلتقي أبطال الرواية في قاعة سينما بالفندق لمشاهدة فيلم رسوم متحركة بعنوان «جبل الدهشة» يحكي قصة حيوانات في إحدى الغابات تنازعوا بسبب الغرور لاختيار «الأفضل» وكيف فتحت الفكرة باب فتنة احتواها الأسد الحكيم من خلال زيارة قصيرة إلى «جبل الدهشة»!
يذكر أن «جبل الدهشة» صدرت عن كريبت سبيس للنشر بالولايات المتحدة الأميركية، وهي رواية للصغار.

«الذئب الرمادي»: هتلر لم ينتحر وعاش في الأرجنتين حتى وفاته عام 1962

■ لندن – كشف كتاب جديد صدر في بريطانيا أن الزعيم النازي أدولف هتلر لم يقتل نفسه في برلين عام ١٩٤٥، وعاش في الأرجنتين حتى وفاته عام ١٩٦٢.

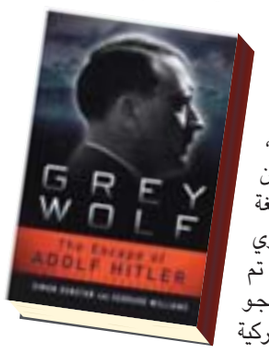

وقالت صحيفة الصن الصادرة يوم الاثنين الماضي إن مؤلفي الكتاب، «جيرارد ويليامز» و«سايمون دونستان»، وجدا أدلة دامغة تشير إلى أن الزعيم النازي وعشيقته إيفا براون تم نقلهما سراً عن طريق الجو إلى الأرجنتين الدولة الأميركية الجنوبية.
وأضافت أن الكتاب الجديد الذي يحمل عنوان «الذئب الرمادي: هروب أدولف هتلر» ذكر بأن بقايا جمجمة هتلر التي تحتفظ بها روسيا «هي في الواقع جمجمة امرأة»، واتهم الاستخبارات الأميركية بـ «السماح له بالفرار من ألمانيا مقابل الحصول على تكنولوجيا الحرب النازية».
وأشارت الصحيفة إلى أن ويليامز ودونستان درسا اختبارات الطب الشرعي ووثائق سرية تم الإفراج عنها مؤخراً.
ونسبت إلى ويليامز المشارك بتأليف الكتاب قوله «ليس هناك أدلة شرعية على موت هتلر أو إيفا براون، كما أن روايات شهود العيان عن أنهما عاشا في الأرجنتين مقنعة». «يو بي اي»